

صورة الجزائري في مخيال الآخر

Algerian's image in the other's imagination

علي بريغيث^{1*}، عيسى بريهمات²

¹ جامعة عمار ثلجي، مخبر اللغة العربية وآدابها، الأغواط (الجزائر)

² جامعة عمار ثلجي، مخبر اللغة العربية وآدابها، الأغواط (الجزائر)

ملخص: يحاول هذا المقال من خلال عنوانه كشف صورة الجزائري في كتابات الآخر "الغربي" لتحديد الإيديولوجيا الكامنة وراء خطابه الذي أسهم في تكوين ما يشبه "المرجعية" الذهنية لدى الفرنسيين خاصة والأوروبيين عامة حول الأرض والإنسان الجزائري وأكثرها ترددها في موضوعاتهم حيث وضعوا حقائق حوله وأدلو بأرائهم عنه ووصفوا مظهره "الغرائبي" آملين إعادة إنتاجه على المقياس الأوروبي المتحضر.

ونظرا لما تمثله هذه الصور من اختراع وحقائق، فالأكيد أنها لا تنفي الجدلية بين الذات والآخر؛ وهنا يبرز ملمح الأدب المقارن في معرفة التجربة الشخصية للكتاب الفرنسيين والغرب عامة عن الجزائر وصلتهم بأهلها وكيف نقلوا صورها في أدبهم إلى ذاتهم الفردية والجماعية.

الكلمات المفتاحية: صورة الجزائري؛ مخيال الآخر؛ أوجين فرومنتان.

Abstract:

This article, entitled Revealing the Image of the Algerian in the writings of the other "Western", tries to identify the ideology behind his speech, which contributed to the formation of what looks like a mental "reference" among the French in particular and Europeans in general about the land and the Algerian man and more echoed it in their subjects where they put facts about it and gave their opinions about it and described its "strange" appearance in the hope of reproducing it on the civilized European scale.

In view of the invention and facts that these images represent, it is certain that they do not negate the dialectic between the self and the other. Here, the feature of comparative literature emerges in the knowledge of the personal experience of French writers and the West in general about Algeria and their relationship with its people and how they transferred its images in their literature to their individual and collective selves.

Keywords: Algerian's image; Imagination of the other; Eugène Fromentin.

*Corresponding author, e-mail: Brighithdj@gmail.com.

- مقدمة

ترتسم في كتابات الآخر الغربي صور شتى للشرق مختلفة ومتباينة تبعا للعصور التاريخية، ولتطور غرب/شرق "المرسل والمتلقي"، تتجسد وتتضح هذه الصور من خلال النصوص الأدبية والرحلية، حتى تكاد أن تكون حقيقة ملموسة، وأحيانا أخرى، يغشها التعصب، ويحجبها البعد الزمني، واللاشعور الجمعي، فتنحول إلى أساطير غريبة وأوهام عجيبة (إبراهيم، صفحة 119)، ولا شك أن هذه الصور تنمو وتتطور بناء على طبيعة العلاقات السياسية، والاقتصادية، والثقافية، التي ربطت بين هذين العالمين العملاقين المتقاربين جغرافيا والمختلفين دينيا ونظما.

والملاحظ أن ما كتبه الفرنسيون عن الجزائر خصوصا إبان الاحتلال، كلٌ حسب ميدان اختصاصه من كتاب وشعراء ورحالة وعلماء ومؤرخين...، وما ألفوه من كتب على شكل رحلات أو بصورة رسائل ومذكرات، تحدثوا عن تجاربهم الشخصية في الجزائر وعلاقتهم بأهلها، وعبروا عن مواقفهم من قضاياها الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية والخلقية، كما تطرقوا إلى وصف العادات والتقاليد وأساليب الحياة للأفراد والجماعات في المدن والقرى والأرياف والفلاة.

وفي هذا السياق ومن منظور ارتباط الموضوع بتاريخ الجزائر وسمعة شعبها، جاء بحثنا الذي اخترنا له عنوان: صورة الجزائري في مخيال الآخر ليتصفح الصورة في بعض الأعمال الرحلية والأدبية لدى الغرب خاصة في الفترة الكولونيالية الفرنسية، وهنا جاء طرح الإشكالية التالية: ما هي صورة الجزائري لدى الكاتب الفرنسي؟ وما مشروعيتها؟ وهل هي نتاج أحكام موضوعية أم هي محصلة ثقافة استعمارية وحالة فكرة انفصالية لدى الكاتب الفرنسي نفسه؟

لقد عرف المجتمع الجزائري قبل 1830م انسجاما بين ذواته، نتيجة التفاعل المستمر بين الوافد الإسلامي في مضامينه العقائدية واللغوية، وبين المحلي الأمازيغي وطوقسه الاجتماعية، غير أنه في الفترة ما بين: (1870-1914م)، وهي الفترة التي تُعرف في التاريخ الجزائري بفترة "الخمود"، والتي ثبتت فيها السيطرة الكولونيالية المطلقة على البلاد وإدارتها، بل وتحطيم الأركان التي كان يقوم عليها المجتمع الجزائري، والذي سرعا ما تحول إلى "ذات خاضعة" ومسيطر عليها، والتي أخذت تسميات متعددة، يميزها طابع الاحتقار لكل ما هو غير أوروبي، مثل: "أنديجان" صورة العربي في مخيلة الفرنسي على أنه جاهل، خشن، دموي، عنيف، متأخر، متزمت، عميل، تقليدي، انتهازي...، ثم "المسلم" التي أصبحت تعني في قاموس الخطاب الكولونيالي: ذلك الجنس الحقيير من السكان الأصليين بعربهم و أمازيغهم، غير القابلين للتمدن والتثقيف، كما يقول مؤرخ الاستعمار غابريال هانوتو، الذي تبنى خطابا شبه فلسفي يقوم على المغالطة التاريخية، والتلفيق العلمي، حول مميزات العربي، وعدم قدرته على التحضر، إلا بالقدر الذي يمكن أن يحققه التلقين المبني على القهر الجسدي (البيب، الصفحات 660-661).

والأكيد أنه في قيد العبودية، وما تتميز به من سياسة البطش، وممارسة السمو العنصري، والتفوق الثقافي لدى الفرنسي المحتل، جعل "الذات الجزائرية" تركز إلى الكسل والخمول والتوكل على الغير، كما صارت تستعين حتى بـ"الحجر والشجر" لتُنقذها من البلوى، شأن كل ضعيف متهالك، وعزيز ذلّ، وغنيّ افتقر؛ إنها ظروف اللجوء إلى "الغيبة" و"الخرافة" للمحافظة على ما تبقى من الذات المتهالكة (ليبب، 2008، صفحة 661).

وهذا ما عبر عنه أحد المختصين الفرنسيين في الأنثولوجيا الأوائل الذين انكبوا على المجتمع الجزائري "دوتّي" (Doutté E.)، أستاذ المدرسة العليا للآداب في الجزائر، والذي كثيرا ما كان يستخدم لفظي "البدائية" أو "التوحش" في كتاباته وبحوثه العلمية، التي أصبحت بمثابة القاعدة لعمل فرنسا بالجزائر، والتي تعتبر نفسها منبع الحضارة، ولا ترى في الآخر الجزائري إلا موجودا "بدائيا" بما هو صنعة السحر والشعوذة (ليبب، 2008، صفحة 457).

ويزعم بعض المختصين في دراسة الأنثروبولوجيا، أنّ أبحاثهم في هذا المجال يمكن أن توصلهم إلى إقامة قوانين عامة عن الإنسان في مجتمعه، يمكن بواسطتها إقامة علم تطبيقي، وهو ما طبقه الاستعمار الأوروبي فعلا على الإنسان في مستعمراته، وفي هذا السياق يقوم بـ"رصد" عدد من الصفات السلوكية خاصة السلبية منها، ثم يسقطها على كافة أفراد المجتمع محلّ دراسته "الأنثروبولوجية"، مثل حدّة الطبع، ومحدودية الذكاء، والخمول، والتعصب، وتغطية الفم عند تناول الطعام، والتحديق في الآخرين، وغيرها من الأشياء التي تبدو عادية أو تافهة، لكنها في ذات الوقت تكشف عن الحياة البدائية، والأنماط العمومية، التي تحكم السلوك الإنساني في مجتمع العينة... (ليبب، 2008، صفحة 124)، وفي الأخير تختصر هذه "المثالب" في عبارات تحقير وإهانة، مثل لفظ "العرب" و"أهلي" و"بيكو" - التي يقصد بها التحقير ومعناها الأصلي (الايطالي) التيس - وغيرها، مما ارتسم في ذهن المستعمر - بكسر الميم - ومن سار في ركابه، لكنّ أخطرها هو ما تستعمله عامة السكان الأهالي ضدّ بعضها من تنايز، تستغلها الأنثروبولوجيا لإشعال نار الفتنة بين العشائر والمناطق كعامل إفناء مضمون النتائج بمرور الزمن.

- وسائط صناعة الصورة:

أ. الرحلة :

لقد أفرز القرن التاسع عشر جنسا أدبيا حديثا هو أدب الرحلة، وكان ذلك نتيجة طبيعّة لانتشار الأوروبيين خارج حدودهم بشكل جماعي، بحثا عن المستعمرات، والفضاء الجيوستراتيجي الذي يمكنهم من الاستقواء على الآخرين. ولقد طور الرحالة الأوروبيون المتأخرون نظرة تتسم بكثير من التحيز، نتيجة تماهياها مع بنية الفكر الاستشراقي، الذي انخرط بشكل مبكر في الشرط الإمبريالي. يجب التأكيد أولا أن المستشرقين الفرنسيين والبريطانيين والإسبانيين عملوا خلال سنوات عديدة من الجهد الأكاديمي على تجريد العرب والأفارقة من مهابتهم التاريخية وأمجادهم الحضارية العظيمة، في مرحلة أولى، ثم عمدوا إلى اختزالهم إلى كيانات كاريكاتورية تبعث على

الدعابة والتسلية، وصوّروهم أحيانا باعتبارهم كائنات عجائبيّة تستجيب لعالم "ألف ليلة وليلة" الذي يشبع المخيال الغربي ويستجيب لاستيهاماته وأحلامه الرومنسيّة. كان الغرب في حاجة ماسّة لمثل هذه الأدبيات التي تنسيه صلف المادية الغربية والعقلانيّة المقرفة. بالإضافة إلى ذلك، لا بدّ من التذكير أن الغرب وفي عز عصر الأنوار كان لا يزال تحت وطأة سلطة الكنيسة؛ فرغم الروح الفلسفيّة التي غمرت الفضاء الغربي، ورغم موجة الإلحاد وروح الشكّ التي هزّت كل الفناعات الميتافيزيقيّة، إلّا أن الغرب كان لا يزال يصارع كثيرا من التابوهات كالجنس، والدين، ووضع المرأة في المجتمع. ولذلك يجد الرحالة أنفسهم في الشرق متخلصين من كل تلك التبعات التي ترهقهم في بلدهم (بوخالفة، 2019، صفحة 03).

وإذا كان الرحالة دأبهم نقل هذه المشاهد تكثيفا وتفصيلا، ويضمنونها أحاسيسهم التي يشعرون بها أمام المناظر التي يرون عليها، فهم حرصون كل الحرص على ربط حلقاتها ومسكها بقوة كي لا تتعارض مع المرامي والأهداف لدولتهم الاستعمارية ؛ وعليه "فلئن احتوت جميع النصوص التي بين يدينا على جانب من الحقيقة لا يجوز لنا نكرانه في حدود ما تفيدنا هذه النصوص بمعلومات عن واقع الفلاح (أو بعض هذا الواقع)، فإنها تخطئ بوعي أو من دون وعي بسبب مواقفها المتحيزة، ومن ذلك يتأتى تحريف الواقع لمقاصد إيديولوجية، وتتأتى التعميمات انطلاقا من حالات معزولة، ولكن هل يجوز لنا أن ننتظر من هذه النصوص أن تقول عكس ما قالت؟" (البيب، 2008، صفحة 462).

ويلاحظ أن الرّحالة والأدباء الفرنسيين قد تنوّعت وظائفهم في تلك الفترة، فمنهم العسكري أوجين دوما أو دوماس (Eugène Dumas)، ومنهم الطبيب مثل: جان أندريه بسونيل (Jean-André Peyssonnel)، ومنهم الرسّام مثل: أوجان دي لاكروا (Eugène Delacroix) وأوجين فرومنتان (Eugène Fromentin)، ومنهم الفيلسوف مثل: أليكسيس دي توكوفيل (Alexis de Tocqueville)، ومنهم الجغرافي هنري دوفيري (Henri Duveyrier)، ولكنّ غالبيتهم كانوا من الأدباء مثل: بيار لوتي (Pierre Loti)، وتيوفيل غوتيه (Théophile Gautier)، وألكسندر دوماس (Alexandre Dumas) والأخوان إدموند (Edmond) وجول (Jules) ودي غونكور (de Goncourt)، وغوستاف فلوبيير (Gustave Flaubert) وغي دي موباسان (Guy de Maupassant)، وأندريه جيد (André Gide)، وقد اقتصر هؤلاء الرّحالة على وصف الجزائر العاصمة وأهم مدنها، من الناحية الاقتصاديّة والعمرانيّة والاجتماعيّة، بكثيرٍ من العمق والتحليل - وإن كانت معظمها لا تخلو من روح التعصب والتعالي - وعليه يمكن القول أن هذه الكتابات كانت -ولا تزال- تشكل الجزائر فيها: "مادة وفيرة ممّا يهمّ المؤرّخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرّخي الآداب والأديان والأساطير" (كاظم، 2004، صفحة 22).

لقد كشفت الرحلة النقاب عن الإنسان في فكره وسلوكه وتنظيمه الاجتماعي، وأحدثت اتساعا في المنظور المكاني للإنسان، الأمر الذي أثر في توليد نظريات حديثة عن العالم والإنسان. وباختصار، فإن الرحالة كانوا إثنوغرافيين استطاعوا تقديم وصف مفصل عن حياة الإنسان في شتى بقاع العالم.

ب. الاستشراق ودوره في التخطيط للاستعمار:

يتفق كثير من الباحثين أن أول علاقة بين الشرق والغرب تميزت بالتصادم والمواجهة ومرد ذلك تبادل الأدوار، فقد أخذ العرب من الروم والفرس والهند واليونان بعضا مما أنتجوه، ونظموا به حياتهم بما يوافق دينهم وطبيعتهم، فبرزوا في شؤون العلم والمعرفة والآداب والاجتماع والفلسفة، وأسسوا لذلك مؤسسات مختلفة جمعت خلاصة الفكر الإنساني بنكهة شرقية، مما شجع الغرب المتخبط في دياجير التخلف للاهتمام بهذه المعرفة الشرقية، وليؤسسوا عليها لاحقا فكر الاختلاف الذي يعيشون فيه وهذا ما حذا بهم إلى دراسة الشرق وحضاراته ولغاته تحت غطاء الاستشراق المدعوم من الكنيسة.

لقد كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاستعمار من أجل فرض السيطرة على الشرق برمته، وإخضاع شعوبه وإذلالها، وللعودة إلى حقد رجال الدين المسيحيين على الإسلام وقرآنه ونبيه μ ولغته العربية الذي هيا الظروف لنشأة الاستشراق الذي كان مرتبطا أساسا بالتصير، فإن "الاستعمار في حقيقة أمره ما هو إلا امتداد للحروب الصليبية التي كانت في ظاهرها حروبا دينية، وفي باطنها حروبا استعمارية، وقد كانت العودة إلى احتلال بلاد العرب وبلاد الإسلام حلما ظل يراود الغربيين منذ هزيمة الصليبيين (على يد صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين بفلسطين، سنة 1187 م)، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتتموها" (زقزوق، 1997، صفحة 50).

ج. الاستعمار:

ولما كانت إيديولوجية الاستعمار تهدف إلى التفكيك ثم إعادة البناء والاستتباع تحت سطوة السلاح والمعرفة، هبَّ الغرب إلى تكريس الاستعمار على أنه الوسيلة المثلى لإنقاذ البشرية من مستنقع الجهل والمرض والفقر والخوف، وذلك بإرسال علماء الجغرافيا والمستشرقين وعلماء الأجناس والرحالة والمبشرين، وذلك قصد دراسة أصول التركيبة الاجتماعية لسكان البلاد المحتلة، وهنا يصرح (رينيه مونيه) صاحب مشروع: "علم الاجتماع الجزائري" "La sociologie des Indigènes" بالقول: "أن لنا مصلحة نظرية وتطبيقية لتتعرف على حياة الشعوب الجزائرية، نظرية أولا لأنه من حقنا ومن واجبنا نحن الفرنسيين أن نعرف ونفهم جميع الشعوب التي نحملها وندير شؤونها ولا نتوقف أبدا عن القيام بالواجب نحوها... ولما في تنظيم هذه الدراسات من غايات مادية تطبيقية باعتبار أن العلم مصدر للنفوذ وللحكم" (لبيب، 2008، صفحة 438).

وهكذا عرفت الجزائر أعدادا هائلة من ضباط الشؤون الأهلية، والرحالين، والمبشرين، الذين اختصوا في دراسة عادات وتقاليده وأنماط المعيشة لدى سكان البلد بمختلف مناطقهم، وكانت تلك الدراسات والتحقيقات والتقارير والتصنيفات والخرائط والفهارس...، تهدف إلى معاينة الإنسان الجزائري في مخبره ومظهره، "وقد سمحت تلك المعرفة الدقيقة بالتركيبة الاجتماعية للسكان من استغلال نقاط الضعف فيها، وتصريفها لفائدة المستعمرين، الذين استغلوا بالأخص النعرات القبلية لزرع روح الشقاق بين السكان، بتقسيمهم إلى بربر وعرب، ووصفوا الأوائل منهم بالأصلاء والآخرين بالغزاة الدخلاء" (منور، 2013، صفحة 79).

وقد عاش الجزائري جنبا إلى جنب مع المستوطن الأوروبي، في علاقة عدائية وحساسية مفردة غريبة تجاه العربي المسلم، فتكونت فكرة الآخر لكل طرف، حيث أن "الفرنسي يعتبر الجزائري متوحشا متخلفا، وكان الجزائري يعتبر الفرنسي كافرا" (Boutefnouchet, 1982, p. 29).

وهذا ما جعل الجزائريين يقابلون بحذر كل ما يصدر عن المحتل فهم يرون أنه المعضلة الأساسية التي تحتاج لأكثر من تحليل لأنه في نظرهم هو المصدر الأساسي الذي لا ينقضي للمشاكل التي يتخبطون فيها.

والحقيقة أنه يمكن للأديب أن يعكس أصداء الأحداث السياسية في كتاباته، بسبب عدم قدرته على غضّ الطرف عن محيطه المباشر. وهذا للأسف ما غفلت عنه غالبية أعلام الاستعمار بكل توجهاتهم الأيديولوجية في التعبير عن واقع الشعب الجزائري المأسوي وتوقه إلى الحرية.

وقد تفاوتت صورة الجزائري غريبة النقل بين الطغيان والإلغاء، أو الدعوى إلى المساواة، أو إنتاج شكل تخيلي بينهما، وهو ما سنحاول عرض جزء عما كتبه الأعلام الغربية عن الجزائري.

- صورة الجزائري عند الكتاب الإسبان:

لقد تميز التاريخ الإسباني-الجزائري بعدة فترات عدائية، فكانت إسبانيا هي أول بلد أوروبي تحتك به الجزائر خاصة بعد سقوط الأندلس (1492م) وهجرة الموريسكيين إلى دول المغرب العربي، ومحطات أخرى، كاحتلال وهران والمرسى الكبير خلال القرن السادس عشر، وحروب بحرية في المتوسط لثلاثة قرون (1505-1792م)، والتي أنهتها الجزائر بانتصار ساحق على يد (الباي محمد بن عثمان الكبير) بعد معاهدة وهران (1791م)، وشكل الاحتلال الفرنسي منذ 1830م، إلى تشجيع الإسبانين بالهجرة إلى الجزائر والاستيطان بها.

وخلال هذه المدة تشكلت صورة أدبية إسبانية عن الجزائر، كالتى خلدها التاريخ الإسباني في روايات عالمية بلغت عنان السماء في الشهرة، منها رواية "دون كيشوت" الخيالية لميغيل سيرفانتس (Miguel Cervantes) والتي ذكر في أحد أبطالها عند تعرضه للسجن، ما عايشه هو شخصيا في سجن الجزائر.

ولكن على العموم، كانت نظرة الإسبان للجزائريين قبل الاستعمار الفرنسي على أنهم قراصنة، وقطاع بحار، يسعون إلى تخريب مجد إسبانيا في البحر المتوسط، فكتب الكاتبون دون أنطونيو بارسيلو (Don Antonio Barcelo) بعد أن حاصرت سفن جزائرية قبالة سواحل صقلية (1770م)، قائلاً: "حاصرتنا سفن القراصنة بقيادة "باربيك" المنشق، واستمرت المعركة لثلاثة أيام، حتى الأسماك صرخت من هول المعركة، أمرت بحارتي بإلقاء أنفسهم في الماء بدلاً من أخذهم أحياء... فركعت أمام دمية مريم العذراء لمناجاتها... ثم صعدت إلى أحد الساريات لأرى ثلاث سفن إسبانية في الأفق قادمة منتصرة..." (Whitehead, 1997, p. 37)، وقد أخذ هذه الصورة عن الجزائري في البحر كقرصان وضيع، بينما حاله كرومانسي يتشبث بدينه المسيحي في الشدائد حتى يأتيه الفرج، ومع ذلك استمرت هذه الصورة عن الجزائري إلى سقوط الجزائر بيد فرنسا.

وأبدت إسبانيا دعمها لفرنسا في مسألة غزو الجزائر، حتى بعثت دعماً لوجيستياً، ومهندسين، لمساندة الآلة العسكرية الفرنسية، واصطدموا مع الأمير (عبد القادر)، كرمز جزائري يثير اهتمامهم، فوصفه الكاتب (مانويل مالودي مولينا) (Manuel de Malo de Molina) "بالأسطورة الخرافية المخيفة، التي تصل لنا في حلّة أدبية وشعرية رائعة" (Manuel, 1852, p. 281)، هذا الوصف الذي يدل على صورة قائد يشكل ملحمة واقعية في عيون الإسبان، قد أضاف إليها الكاتب (إيدلفونسو أنطونيو برميخو) (Edelfonso Antonio Permejo) على أن الأمير "هاجم في حربه المقدسة بالاعتداء، وقطع الطرقات، رغم جيشه المنظم" (كبداني، 2017، صفحة 615)، ففي نظره أنه شخصية دينية لا يرحم ولا يتسامح مع المستعمر، وداهية في المعارك والدبلوماسية، من خلال خطاباته الراقية وخططه ومراسلاته مع الملكة (اليزابيث الثانية)، فهو شخص عبقرى في زمنه، إنساني مع الأسرى والإصلاح بين المتخاصمين (كبداني، 2017، صفحة 616). لقد أضفى الأمير (عبد القادر) على أقلام الكتاب الإسبان نوعاً من ألوان التخيل في الإنسان الجزائري القائد.

وعن صورة الجزائري في مشهد آخر، يتذكر "إيمانويل روبليس" جوالين مكثاً بمدينة وهران "أذكر وجوههما العظمية (يصف عازفي غيتار، سمعهما شخصياً يعزفان الأغاني الأندلسية)، ومداراتهما الناقعة، وتعبيرهما الصارم والمحزن وهما يسحبان ألحانا مبهجة من آلاتهما. كنت أستمع إليهم في كثير من الأحيان من شرفتي" (Roblès, 1995, p. 10)، على الرغم من كثرة المستوطنين الإسبان في وهران، إلا أنه صور الجزائريين كغربيين عن وطنهما، يقدمان شكلاً موسيقياً حزيناً لجذب المارة، مع أنه كان يستمتع بالموسيقى الأندلسية التي كانا يعزفانها. كما أنه أعطى صورة تحرك الحواس لمعرفة حياة مدينة وهران المستعمرة، "أذكر تاجرة أعشاب، وهي امرأة عجوز باعت لنا بفلس واحد خمسة أو ستة أوراق توت لديدان الفز التي لديها. كان اسمها "دونيا ماريا"، ويمكن للمرء أن يرى في ظلام متجرها، رأس سلحفاة مجمدة وجافة، وتتدلى من الجدران أكياس من البابونج والفانيلا، وعناقيد الكرز برائحة خشنة وخانقة إلى حد ما، لقد غطت العديد من الصور الملونة... شخصيتها أظهرت جروحها الحادة أو قلبها الملتهب، لقد أبهرتني كثيراً" (Roblès, 1995, p. 11). يقدم الكاتب أدلة حسية (البصر والسمع والشم) للوجود

الإسباني في الجزائر من خلال هذا الوصف، على أن وهران مدينة خلابة، بطريقة إسبانية عاطفية وأن ملكوتها للإسبان دون سواهم.

ومن خلال ما سبق، فإن صورة الإسبان لحال الجزائري في كتاباتهم، كان مهمشا، فلم يكونوا على قدر من الاهتمام به، سوى أنه من صنف الهمجية، وُجد للمعاناة؛ بينما هم كانوا بين الخيبة والأمل، مهتمين ببقائهم في شمال إفريقيا وخاصة مدينة وهران، وما يعاني منه المستوطنون الإسبان من الإدارة الفرنسية، وعلى أنهم رموا بعرقهم، ودمهم في أرضهم، التي لا يردون فقدتها (قنون، 2009، صفحة 97).

- صورة الجزائري عند الكتاب الإنجليز:

تعود العلاقات بين الجزائر-بريطانيا (الإنجليز) إلى القرن السادس عشر، عندما عُيّن جون تيبتون (John Tipton) أول قنصل بريطاني في الجزائر العاصمة عام 1580م، بناءً على طلب تجار من لندن، مهتمين بسوق شمال إفريقيا. وعرفت العلاقات الجزائرية البريطانية لحظات من العداء، والهدنة، حتى توقيع معاهدة سلام وتجارة عام 1682م، وقد ساهمت في مضاعفة الاتصالات والتبادلات بين البلدين. وخلال بداية الاستعمار عمل القنصل الإنجليزي روبرت ويليام سانت جون (Robert William St John)، كوسيط في المفاوضات بين داي الجزائر والجيش الفرنسي. وقد رفضت بريطانيا في البداية احتلال الجزائر، كما أعرب عدد من ضباط الجيش الإنجليزي عن إعجابهم بالمقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي. حتى أن العقيد جيمس سكوت (James Scott)، الذي كان واحدا منهم، قد انضم إلى الأمير عبد القادر، الذي منحه امتياز إنشاء شركة إنجليزية يحق لها استغلال مناجم "ميناء" (في غليزان) (السفارة الجزائرية بلندن، 2021).

لقد بدأ المسافرون والمستوطنون البريطانيون رحلاتهم إلى الجزائر في أعقاب الاحتلال الفرنسي. وترك هؤلاء الرحالة ثروة من الأدب في شكل مؤلفات سفر وأدلة سفر ومذكرات، والتي تضمنت وصف الأماكن وتمثيل السكان المحليين وثقافتهم ودينهم، ومن بينهم السيدة إلين روبرت روجرز (Ellen Albert Rogers)، في كتابها "شتاء في الجزائر"، وهو عن رحلتها التي دامت من أكتوبر 1863 إلى 1864؛ تكتب السيدة "روجرز" في بدايات رحلتها، انطباعها عن اللباس الجزائري، إذ تقول: "الأزياء العربية التي أراها يوميا، هي حتى الآن أبعد من فهمي" (Rogers, 1865, p. 23)، فهي لم تتقبل بعد ما تراه، وقولها أيضا: "دعيت بالباح (من قبل رحالة آخرين) لمشاهدة احتفالات (بالجزائر)، وخلال الساعات الأولى لم أرغب بها، حتى أنني لم أعد مهتمة بالموضوع..." (Rogers, 1865, p. 72)، فقد وجدت جانب التحيز واستنكار الآخر، هو أفضل طريقة لمجابهة ما تراه من طريقة عيش الجزائري، فأفكارها لم تتخط حدود أوروبا.

وفي وصفها للجزائري، كتبت: "السكان الأصليون كسولون، وينامون ملفوفين في جميع أنحاء حديقة "مارينغو"، أو يسجدون على طول الأرصفة، وخاصة في شارع "دي إسلي"، عندما يبدأون في الحياة، تجد لديهم

هبة القوة التي لا يمكن تصورها تقريبا، خاصة عندما يشاركونك حمل الأعباء" (Rogers, 1865, p. 37). هذه الصورة التي تنقلها الكاتبة عن الجزائري بشكل عام، تعبر عن روح الاستعلاء، فيها إهانة صريحة لشخص الجزائري في كل مكان. تتوافق مع الصور النمطية الموجودة بالفعل لدى الغربيين حول الشرقيين. بأنهم أميون وعاطلون عن العمل، وذووا مظهر متخلف، وينامون في أي مكان.

وتضيف: "يقضون اليوم كله في المقاهي لا يفعلون شيئا...، وهم في خضوع كلي أثناء خمولهم" (Rogers, 1865, p. 40)، (وهي تشير إلى السجود بأنه خمول)، وتضيف: "كل شيء في حياته (تقصد الجزائري) وتحركاته، إنه فقير فاتر، لا طائل منه، ومتدهور المظهر" (Rogers, 1865, p. 40)، وهي تراقب الجزائري وتعتبره محروم المظهر والوجود، وأن أكثر ما يستحقه هو أن يكون "حمّالا للأعباء" (Zerouali, 2017, p. 15)، وهذه النظرة المحتقرة للجزائري، أتت كونها لا توافقه في صلاته، وملبسه، وطريقة عيشه، دون أن تبحث عن سبب حاله، التي أدت لأن تراها متدهورة في تلك الفترة بالجزائر العاصمة.

وفي وصفها للمرأة الجزائرية بأنها: "أحد المشاهد الأكثر تفردا هنا، فالنساء المسلمات المحجبات، اللواتي يمكن رؤيتهن في كل اتجاه. إنهن لا يغادرن منازلهن أبدا دون وضع نوع من المنديل على الوجه المثبت تحت العينين، ويسمى "العجار"، وعباءة بيضاء كبيرة منتفخة أو عباءة إسلامية، يسمونها حايك التلهيل (تقصد التلهيل) «which they call khaik el telhil»، مما يحجب الشخص بأكمله. تبقى العيون والحاجبين وحدها ما ترسم ملامحهن" (Rogers, 1865, p. 40)، فبالرغم من أن وصفها سطحي، إلا أنها تراه مبالغا فيه ونادر الوجود، مقارنة مع ما هو معروف في العرف الأوروبي.

ومع ذلك كانت تحاول الالتقاء بهن، والتعرف عليهن أكثر، فوجدت فيهن مادة جيدة للكتابة عنهن، فكتبت "التقي كالعادة بمجموعة من النساء العربيات، في حديقة "مارينغو". هذه المخلوقات المحجبة الفقيرة -محجبة على حد سواء في العقل والجسم- ملزمة بالأغلال التي لا يمكن لجنسهم أن يكسرها، وكيف ينعى المرء عليهن، ويتوق إلى أن يكون قادرا على الوصول إليهن! ولكن من دون معرفة اللغة العربية، فإن الأمل غير مجد... أود أن نتمكن من توظيف امرأة الكتاب المقدس باللغة العربية بينهن، وعموما بيدون فقرات وبائسات، واهنات، وخائفات، وقدرات. وأنا متأكدة، بقدر ما أستطيع استخلاصه من لغتهن الصامتة، من النظرات، أنهن يرحبن بامتنان بأي وكالة من هذا القبيل إلى وطنهم (نقصد نموذج التحرر من الكتاب المقدس وفي أوروبا). ونادرا ما يغامرن بمد أيديهن المصبوغة بالحناء من أجل الصدقات، وعندما يفعلن ذلك، يكون ذلك بلهجة خجولة" (Rogers, 1865, p. 58).

ونجد في هذا محاولة للتدخل وكسر سجن المرأة الجزائرية التي تعيشه دون حسابان حالة التعاسة التي تصفها، فهي ترى فيهن حق التحرر من جزائريتهن وشرقيتهن وإسلامهن، واستبدال ذلك بما هو أفضل وأحسن من

ذلك، وما تفضلت به أوروبا والمسيحية، لإخراجهم من وضعهم المزري؛ والذي سببه الاحتلال الفرنسي في حق الجزائريين دون أن تلقي لهذا السبب أي اهتمام.

وهناك عدة نماذج لكتاب ورحالة إنجليز، أيدوا المنطق الاستعماري الأوروبي في الجزائر، فالجزائري بالنسبة لهم حالة من التخلف، والهمجية، في أرض غريبة ودافئة، حيث ذكر الكاتب "بليفيير" (Playfiar) أن "العرب بدائيون جدا، وقذرون جدا في عاداتهم" (Playfair, 1868, p. 09)، كما يذكر في موقف آخر، أن العرب (الجزائريين) "كسالى جدا، وغير واثقين، وغير راغبين في التعلم، خاصة أنهم لم يقدروا مزايا الحضارة" (Playfair, 1868, p. 11)، كما يصف "إيفانز" (Evans) الجزائريين حتى من خلال الأطفال، "بأنه لا يمكن تحقيق التعليم السليم للأطفال العرب، لأنه من المستحيل تنفيذ المعايير الأوروبية عليهم، مع عدم الانضباط والنظافة" (Lloyd, 1868, p. 172).

وهذا ما جعل تقبل الاحتلال الفرنسي على الجزائر أمرا مقبولا لديهم، فتكتب الكاتبة "جريفيل نوجنت" (Greville Nugent) "ماذا فعلت فرنسا للعرب في هذه المحافظة؟ ... أعطتهم وظائف منتظمة في مزارع الكروم، وحدائق البرتقال، وبساتين التمر، والسكك الحديدية، وساحات الشحن، وألف شركة تجارية. وقد أعطتهم الصرف الصحي، والشرطة، والحضارة، بقدر ما يمكن دمجها مع قانونهم الديني. وقد منحتهم محاكم قانونية فرنسية، حيث يمكن معالجة شكاواهم دون رشاي وإفساد الأدلة، وتأمين ممتلكاتهم لهم من قبل رؤساء مكاتب العرب، والمسؤولين الذين يعرفون الفقه الأوروبي، وإضافة إلى دراسة عميقة للغة والعادات التي لديهم للتعامل معها، لأجل تحقيق وتعديل جميع النزاعات بين القبائل المتنافسة، كل هذا وأكثر بكثير مما أعطاه الفرنسيون للسكان الأصليين، وعلى السكان الأصليين أن يظهروا الخضوع على النحو الواجب والامتثال" (Greville, 1894, pp. 128-129).

لقد أظهرت هذه الأوصاف الكثير من الضغائن النمطية الأوروبية على الجزائري، والصاق تهم القذارة والبؤس والتخلف عليهم، فقط لأن أهم تركيبة فيه هي العروبة والإسلام، وأن هذه الشخصية التي يحملها الجزائري مزدوجة لدى هؤلاء الكتاب الإنجليز، فقد حكموا عليه دون مرجعية لما يحدث له، ودون بحث في حقيقته، مع تشويه لحاله، وإبرازه أكثر لمجتمعاتهم الأوروبية، بما يرونه مناسبا لأيديولوجيتهم "المتحضرة".

- صورة الجزائري عند الكتاب الألمان:

وقد مثل الاحتلال الفرنسي للجزائر فرصة كبيرة للألمان للكتابة عن الجزائر، فقد ساهم ذلك في الحث على الاستيطان وزيادة بعثات الألمان، ودراسة المجتمع، والحيوانات والنباتات، والتضاريس، والانخراط في الجيش والتعرف على استراتيجية غزو الفرنسيين (Rafik, 2011, p. 58).

وهكذا نجد من بين الكتاب الألمان إميل بوك (Emil Bock)، وهو أحد المجندين في الجيش الفرنسي الأجنبي (انضم في 1881)، قد أيد استعمار الجزائر، وقد وصف الجزائري بأنه متسلط على المرأة، حيث قام بالتحدث مع أحد التجار قائلا "إنني مصدوم من تعليقات تاجر مغربي في مقهى، الذي يتباهى بأن لديه الحق والسلطة في قتل زوجته تماما كما كان يسحق ذبابة" (Bock, 1883, p. 20)، ويضيف بأن "النساء في الثقافة المحلية، يعاملن كسلعة تشبه الماشية يتم شراؤها وبيعها لأغراض الزواج وتربية الأطفال" (Bock, 1883, pp. 22-23).

وقد وصف النساء الجزائريات حينما كان مع جنود فرنسيين منتشرين، فسمح له بمشاهدة رجل عربي مع زوجاته، فيذكر "أن هناك نساء جميلات وبغضاضات من السكان الأصليين على حد سواء، وإذ يلاحظ أنه بمجرد زواجهن، تميل ملامح وجهن إلى التصلب" (Bock, 1883, p. 24)، لقد قدم حالة المرأة الجزائرية على أنها في حال زواجها تصبح ملامحها سيئة، ومتصلبات الوجه، فهو يرى في المرأة جمالا، وهويتها الاجتماعية وحققها في الزواج يصيبها بخيبة أمل.

لقد صوّرت جل الكتابات الغربية المرأة الجزائرية، على أنها مخلوق هجين؛ حيث تم تقديمها إما ككائن دوني وإما ككائن شهواني ومنحرف يلهث وراء ملذات الجسد المحرمة؛ هذه الأخيرة التي مثلت بامتياز المرحلة الكولونيالية بكل تداعياتها التاريخية، والحضارية، لثنائية الأنا (الفرنسي-الأوروبي) والآخر (الجزائري-الشرقي) التي أبدعها ودونها الكتاب الغربيون لتحقيق تفوقهم، واسقاط نقائصهم وانحرافهم الجنسي على الآخر اللأوروبي كنوع من التنفيس من جهة، وإضفاء الشرعية على النوايا الاستعمارية من جهة أخرى.

لذا تعودت الأدبيات الكولونيالية "أن تربط بصورة متكررة بين الجنوسة المنحرفة و الخارجيين ثقافيا وعرقيا، والأماكن البعيدة التي أصبحت كما تعبر عنها آن ماكلينتوك (Anne McClintock) ما يمكن تسميته مدارات إباحية للخيال الأوروبي فانوسا سحريا رائعا للعقل، تسقط عليه أوروبا رغباتها الجنسية الممنوعة ومخاوفها" (لومبا، 2007، صفحة 160)، وهكذا تبني صورة الآخر خصوصا النساء بصورة نمطية، على أنهن متطرفات شهوانيا وجامحات جنسيا؛ فمنذ بداية العهد الاستعماري حتى نهايته، ترمز الأجساد الأنثوية إلى الأرض المفتوحة، وأن هذا الاستعمار المجازي لجسد الأنثى يختلف حسب مقتضيات وتواريخ أوضاع استعمارية معينة، وفي هذا السياق، نشأت استراتيجيات خطابية بديلة تخنث الرجل الشرقي وتصوّره على أنه شهواني شرير مما يدفع بالرجل الأوروبي المكتمل الرجولة والمؤدب أن ينقذ منه المرأة المحلية أو الأوروبية فهو في نظره غير مكافئ له طبقيًا وحضاريًا وعرقيا.

ويعد تحية المرأة الجزائرية أهم حل لإنجاح فكرة أن الجزائر أرض وطنية فرنسية وليس فضاء استعماري فيما وراء البحار، وبالتالي طمس الحدود بين "الوطن" و"الخارج"، كما أشارت إيفون كنيبيهلر (Yvonne Kniebihler)

وريجين جوتيلييه (Regine Goutalier)، أن الحكومة الفرنسية قد استثمرت قدرا كبيرا من الأمل والمال في فكرة أن المرأة الفرنسية يمكن الاعتماد عليها كقوة من شأنها أن تساعد في ملء المستعمرات وتعويض المرأة الجزائرية، والأهم من ذلك، هو تدجين المرأة الفرنسية في هذه الأرض، حيث تم تشجيع النساء الفرنسيات على الهجرة إلى المستعمرات، وأن يكن لهن يد في إنشاء منازل من شأنها أن تثبت أن الرجال الفرنسيين مشاركون نشطون وطويلو الأجل في استعمار الجزائر، وبلغت المشاركة المؤسسية في هذا الجهد ذروتها في إنشاء إدارة المستعمرات "الجمعية الفرنسية لهجرة المرأة للمستعمرات" (La Société française d'émigration des femmes aux colonies) في 1897م (Knibiehler Yvonne, 1985, p. 88).

من هنا يتضح أن الأدب الاستعماري كرس العديد من الصور النمطية التمثيلية عن الشعب الجزائري وثقافته وعمارته...، بعيون أجنبية استعمارية، وإن تفاوت مستوى حضورها من نص إلى آخر، كانت تنشد في حقيقتها الاستحواذ على البلد كغنيمة وتملك واسترجاع للأمبراطورية الرومانية المسيحية اللاتينية، وتسهم أيضا في تقديم قوالب معادية للعربي الجزائري المتطرف ومائلة للفرنسي المنتصر.

- أنموذج عن صورة الجزائري في الأدب الفرنسي:

وبصرف النظر عن أعمال الإدارة العسكرية، فقد ركز الأدباء والروائيون الفرنسيون كثيرا على صور العادات والتقاليد الجزائرية، فاحتقت أساسا بما هو خارجي من مظاهر الثقافة: كالمسكن، والملبس، والأشغال اليومية، وكذا الرقص والموسيقى، والعادات، وسائر الطقوس.

هذه المنظورات والصور التي دبجها الكتاب الفرنسيون، "حنطت الإنسان الجزائري وأفرغته من ديناميكيته وفاعليته وإنسانيته وكيونته التاريخية، بحيث لا نلمس فرقا بينه وبين الأحجار والأشجار والحيوانات. توحى هذه الصورة بأننا أمام جماعة بشرية بدائية معزولة في الزمان والمكان ومرشحة للانقراض لتدخل متحف التاريخ" (بودريال، 2010، صفحة 08). وبهذا الصنيع الأنانية المتعصبة، تكون هذه الكتابات قد جردت الإنسان الجزائري من كونه ذات ندية مائلة إلى الثبات ميلا مستمرا، تأبى الاستسلام، وأنه رغم ظروفه القاسية بقي يقاوم سيطرة الاستعمار وأطماعه، وشبح التفرق، والتخلف، في سبيل تحسين أوضاعه وصورته وهو على سجيته، ومع ذلك حولته إلى مجرد موضوع تعبث به، وتتصرف به كما تشاء بل أحيانا تتعامى عليه فلا تتذكره، ولا تكاد تحفل به، وبدلا منه تتلذذ بصور الطبيعة الجميلة.

لقد كان اهتمام الكتاب الفرنسيين واضحا بما أسموه بالحياة الريفية من فروسية ومرابطة وصفوف (عداوت)، ووصف عادات البربر في الجبال، وأشغال المرأة ومنظرها والأعراف السائدة والتطور الاجتماعي، كما سجلوا انطباعاتهم عن الإنسان الحضري والبدوي. "وكانوا في البداية معجبين بالإنسان البدوي "المتوحش"، والبربري "الخشن"، لأنهما في نظرهم قابلان للحضارة، وهما النموذجان اللذان يبحث عنهما علماء السلالات وأدباء

الرومانتيكية، ثم تحول ذلك الاعجاب أصبح النظر إليهما على أنهما نموذجان أهليان (أنديجن) غير قابلين للتمدن وعدوين للفرنسيين بحكم التعصب الديني" (سعد الله، 1989، صفحة 383). وهذا هو المعنى الذي عبر عنه المنجز الأدبي للرسام والكاتب أوجين فرومنتان في كتابه: "ذات صيف في الصحراء" (1857)، و"سنة في السهل" (1859). وفي نفس الوقت أشار إلى وجود الكثير من الطقوس التعبدية البالية المرتبطة بانتشار القباب والتوسل بالموتى والمرابطين والدراويش؛ "ذلك أنه في الوقت الذي كان فيه علماء أوروبا ينادون بالحرية العقلية لتحرير العامة من ربة الخرافات ويدعون علوما وفنونا للنهوض بالإنسان، كان مرابطو الجزائر يلبسون على العامة ويستغلونهم أشنع استغلال ويغرقون العقول في ظلام دامس" (سعد الله، 1989، الصفحات 482-483).

وهذا ما جعل "أوجين فرومنتان" يحكم على العربي بأنه يعيش ماضيه الحزين والمشرق في حاضره العقيم، وهنا يظهر عجزه في انسداد أفق المستقبل لديه، "ولذلك فلا مجال إلى صنع التاريخ لأن التاريخ يفترض الإيمان بالمستقبل، وقدرة الإنسان على صنعه" (زايد، 1988، صفحة 14)، وهنا مكنم الفرق بين الشرق الأسطوري والغرب الذي لا يؤمن إلا بالزمن التاريخي، متطلع دوما إلى تأملات، يراوده حلم تحقيقها في آجال مستقبلية محددة.

فيحكم عليهم بأنهم أناس أشقياء مبعدون يضمرون الكراهية للغرب عامة وللفرنسيين خاصة في عدلهم وديانتهم وتجاريتهم وصناعتهم وقوتهم وعبقريتهم؛ مبديا حنقه منهم لعدم تجاوبهم مع هذا الرقي لصغر عقولهم مثل أطفال، بما يفسره الكاتب بقوله: "القوة لا تعجبهم أبدا... هذا الذي يكرهونه، إنه جبرتنا وهذا يعني أنفسنا، إنها مظاهرها، عاداتنا، طبعنا، عبقريتنا، يخافون حتى منافعنا ليس بمقدورنا إبادتهم لقد خضعوا لنا. لا يمكننا الهروب، إنهم يجنبوننا مبادئهم، حكمهم منهجهم في السكون والاختفاء قدر الإمكان بنفس تصرف النسيان" (Fromentin, 1859, p. 25).

وفي أحد أجمل الأماكن بين المدينة الأوروبية وحي "القصة" شاهد الكاتب تجمع العرب الموريسكيين، أين يلعب أطفالهم مع الأطفال الفرنسيين، مما تبين للكاتب أن أهوام المواطنية قريبة إلى روح الفرنسيين إلا أنهم يلوذون بالفرار مخافة أن يوصفوا بالانتماء إليها، إنهم على الطبيعة غير مثقفين لكن لهم مواهب خارجية تجعل من الواحد منهم نموذجا كاملا من الجمال الإنساني، إلا أنه متحفظ شديد التدين، وعلى حد رأي الكاتب، قوله: "يمكننا أن نحكم هنا، حيث إصراره لم ينخفض أكثر من ذي قبل على الرغم من امتلاكه جميع الأسباب الممكنة كي يكون متحضرا رغم نفسه، كونه بال من خلال الاتصال والاختفاء... الذي أكرره، إنه يتلاشى قبل الامتزاج معنا" (Fromentin, 1859, p. 30). معيبا عليهم السكن في بيوت بيضاء شبيهة بالبرنوس القومي الذي يكسوه، ولكنها في حقيقة أمرها لمثل هؤلاء المغلقين على أنفسهم بمثابة القبور، وهم فيها كالأموات، لأنه لا أحد يمكنه اختراق هذه المنازل. "كل شيء مظل في هذه المباني المتفردة بخصوصيتها المثيرة للإعجاب شريك في التكتّم

لسيدها. النوافذ لها شباك والكل نوع من الاحتراس ضد كل إفشاء للأسرار ... هنالك الأشياء التي نجهلها؛ هنالك لغزان كبيران لهذا البلد: الثروة المنقولة والنساء" (Fromentin, 1859, pp. 31-32).

ويبهج الكاتب أنه معروف في هذه المنطقة من ملتقى الطرق، لا أحد يجرؤ أن يسبقه إلى الجلوس في مقعده المعتاد من جانب المقهى، مما أتاح له الامتزاج مع الناس "أتعلم بالمرّة دروساً في اللغة وآداب السلوك" (Fromentin, 1859, p. 55)، والتعرف أكثر على حياة بعض الجزائريين الذين وصفهم بأنهم أصدقاؤه المقربون، منهم: "نعمان": العاجز عن الحركة والممتنع عن تناول الطعام بسبب إدمانه على تدخين الحشيش أو ما يسمى بـ "الكيف" إنه الراحة التامة والذي يؤدي إلى السكر؛ وحتماً كل من يتعاطاه سواء في قسنطينة أو الجزائر برأي الكاتب، يكون مالكا لطائر البلبل المغرد "جميع لحيته قد سقطت، وجهه كأنه وجه طفل يموت، الثابت أن المدخنين يقدرّون المسافة التي لديهم لاجتيازها عقب زمن سيجارة. يمكننا الآن حساب كم من سجائر نعمان التي تقربه من المقبرة ..." (Fromentin, 1859, p. 59) والذي مات في أثناء رجوع الكاتب من البلدة إلى الجزائر لحضور "عيد الفول" للزواج؛ حيث ألقى عليه نظرة الوداع من بعيد، وهم ينقلونه إلى مثواه الأخير محتفظاً له بذكرى الغليون الذي أودى بحياته. وهذا نموذج في رأي الكاتب عن حياة المجتمع الجزائري المخدر، الذي يراه يحمل بذور فنائه بداخله، بسبب إصراره على البقاء في حال واحدة.

- الخلاصة:

يتضح لنا من العرض السابق، أن مسار الصورة الأدبية جسد اهتمام فرنسا بالجزائر رغبة في امتلاكها، والقضاء على هوية أهلها؛ وقد كان الكتاب والرحالة والروائيون الفرنسيون مثل كثير من الكتاب الأوروبيين، يكرسون ويلاحقون صوراً نسجها خيالهم الأدبي.

وفي الأخير نخلص إلى أن الصورة هي في واقع الأمر صناعة تخيلية، تبدها المتون الرحلية والروائية في عالم الأدب، وهي إجراء تقوم به اللغة داخل النص، بوصفها مجموعة تصورات يتم تبادلها بين الباث المبدع والمتلقي. إن المبدعين عموماً والأوروبيين على الخصوص في تعاملهم مع الواقع الجزائري (المشكل من مختلف الأنساق الثقافية والاجتماعية والأدبية والسياسية...)، يدركون الأحداث والوقائع من خلال عملية التمثيل والتصوير، إنهم لا يتعاملون وفق المبدأ الإدراكي الصرف، بمعنى أن العناصر المنتقاة لا تحضر في النص الأدبي بنفس الخصائص والمميزات التي تكون عليها في الواقع الفعلي، بل تأخذ شكلاً آخر وصورة مغايرة وذلك بفعل التخيل.

- المراجع:

- إبراهيم نبيلة. (1984). أشكال التعبير في الأدب الشعبي. القاهرة: دار النهضة.
- بوخالفة إبراهيم. (أكتوبر 2019). شرق الغربيين: الصورة الذهنية في وصف الآخر. الجديد.
- بودربالة الطيب. (مارس 2010). صورة الجزائر في الرواية الفرنسية. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها.
- زايد عبد الصمد. (1988). مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة. تونس: الدار العربية للكتاب.
- زقزوق محمود حمدي. (1997). الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. القاهرة: دار المعرفة.
- سعد الله أبو القاسم. (1989). تاريخ الجزائر الثقافي: 1830-1954. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- السفارة الجزائرية بلندن. (سبتمبر 2021). <https://embassyofalgeria.uk>.
- قنون حياة. (مارس 2009). صورة الجزائر في كتابات فرانسيسكو زافالا الصحفي الإسباني في الجزائر خلال القرن التاسع عشر. مجلة الحوار المتوسطي.
- كاظم نادر. (2004). تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- كبذاني فؤاد. (ديسمبر 2017). صورة الأمير عبد القادر في الكتابات الإسبانية. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- لبيب الطاهر. (2008). صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- لومبا أنيا. (2007). في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية. (تر: محمد عبد النبي غنوم) سوريا: دار الحوار للطباعة والنشر.
- منور أحمد. (2013). الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر. الجزائر: دار التنوير.
- Bock Emil. (1883). **Aus meinem Tagebuch als Soldat in Algerien, 1880-81**. "Plieningen: Friedrich Find. Çelik, Zeynep (1997) Urban Forms and Colonial Confrontations: Algiers under French Rule". University of California Press.
- Bouteftouchet Mostafa. (1982). **La culture en Algérie Mythe et Réalité**. Alger: SNED.
- Fromentin Eugène. (1859). **Une année dans le Sahel**. Paris: Michel Lévy Frères, Libraires- Editeurs.
- Greville Nugent. (1894). **A Land of Mosques and Marabouts**. London: Chapman & Hall.

- Kniebiehler Yvonne, Regine Goutalier. (1985). **La Femme au temps des colonies**. Paris: Stock.
- Lloyd Evans H. (1868). **Last Winter in Algeria**. London: Chapman & Hall.
- Manuel de Malo de Molina. (1852). **Viaje á la Argelia: descripción geográfica y estadística del Africa francesa, del desierto y de los árabes, sus usos, costumbres, religión y literatura**. Valencia: Imprenta de José Ferrer de Orga.
- Playfair Lambert R. (1868). **Handbook for Travellers in Algeria and Tunis**. London: John Murray.
- Rafik Nebia Sliman. (2011). Texte et société: Texte et histoire Ecrit allemands sur l'Algerie. **Revue LAROS**.
- Roblès Emmanuel. (1995). **Jeunes saisons**. Paris: Editions Seuil.
- Rogers Ellen A. (1865). **A Winter in Algeria**. London: Sampson Low Son.
- Whitehead H. G. (1997). **Eighteenth-century Spanish chapbooks in the British Library**. London: British Library.
- Zerouali Karima. (2017). **Algerian Woman Through a 19th Century English Woman's Eyes**. France: Université de Cergy-Pontoise.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:

علي بريغيث، عيسى بريهمات (2022) صورة الجزائري في مخيال الآخر ، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية ، المجلد 15 (العدد 01)، الجزائر : جامعة زيان عاشور الجلفة، ص.ص 176-191.